ابن عبد ربه الاندلسي (246هـ – 328هـ) واشكالية الانتماء العقائدي

قراءة تأويلية تحليلية

أ.د. علي كاظم محمد علي المصلاوي

كلية التربية للعلوم الانسانية/جامعة كربلاء

ملخص البحث:

يعدُّ ابن عبد ربه الاندلسي من العلماء والأُدباء الموسوعيين ، وقد أحاط بثقافة واسعة من علوم العربية وآدابها والتاريخ وحوادثه والأديان وفرقها وهو ما استدل عليه الباحثون والدارسون عبر قراءتهم لكتابه الموسوعي الشهير (العقد الفريد).

ولا ريب في أن الاحتفاء بهذا الكمِّ الهائل من الثقافة والاطلاع الواسع مكَّنت ابن عبد ربه من مسك أدواته المعرفية والكتابية والبراعة فيها، وجعلتنا نضع أيدينا على أُصول ثقافته التي هضمها وصدر عنها سواء أكان هذا من علماء عصره الذين أخذ عنهم العلم، أم من خلال قراءاته التي استوعبها.

والقضية التي أثيرت حول الرجل هي انتماؤه العقائدي فهل هو أموي الولاء والعقيدة او هو شيعي محب وموالي ؟ وسبب هذا التنازع هو مفارقة عاشها في كنف الامويين ومعلومات كتبها ودونها في كتابه العقد فتنازع الدارسون من القدماء والمحدثين أمر انتمائه العقائدي ووقفوا على ذلك مواقف ثلاثة الأَول : من قال بتشيّعه او ميله الى التشيع ، والثاني : من أنكر تشيّعه وذهب الى إثبات سنِّيَّته وتعصبه للأمويين، اما الموقف الثالث فحاول ان يكون موضوعيا محايدا فلم يجعل ابن عبد ربه شيعيا، وانما جعله واقعيا في نظرته الى التاريخ ، ونقل الأحداث على حقيقتها، وذهب الى القول بان ميله الى آل علي ليس نابعا عن تشيع فيه، وانَّما هو محبة لآل البيت التي يتحلى بها كثير من أهل السنة. وهذا الموقف لربما يشترك مع الموقف الثاني ولكن بأقلّ حدَّة منه.

وفي هذا البحث سنستعرض هذه الآراء والمواقف بوجه عام، مقدمين قراءة وتأويلا لها ، ولربما عززنا بعض تلك الآراء والمواقف لما فيها من مقبولية عقلية وعلمية.

ومن ثم كانت المقالة قراءة لابن عبد ربه وتراثه من زاوية تتناسب وحجم ثقافته واطلاعه ، والظروف التي أحاطت به.

الكلمات المفتاحية: ابن عبد ربه ، العقد الفريد، الانتماء ، التشيع .

Ibn Abd Rabbuh Al-Andalusi (246 AH - 328 AH) and the problem of ideological affiliation

Analytical interpretive reading

prof. Dr. Ali Kdhim Muhammad Ali Al-Maslawi

College of Education for Human Sciences/University of Karbala

Abstract

Ibn Abd Rabbuh Al-Andalusi is considered one of the encyclopedic scholars and writers. He was surrounded by a wide culture of Arabic sciences and literature, history and its events, religions and their groups, which is what researchers and scholars have inferred by reading his famous encyclopedic book (The Unique Contract). There is no doubt that celebrating this huge amount of culture and wide knowledge enabled Ibn Abd Rabbuh to master his cognitive and written tools and excel at them, and made us put our hands on the foundations of his culture that he digested and issued, whether this was from the scholars of his time from whom he took knowledge, or through his readings that he Get it.

The issue that was raised about the man is his ideological affiliation. Is he a Umayyad of loyalty and belief, or is he a loving and loyal Shiite? The reason for this conflict is a paradox that he lived under the Umayyads and information that he wrote and recorded in his book Al-Aqd. So scholars, ancient and modern, disputed the matter of his ideological affiliation and stood on three positions on that: The first: Whoever said he was Shiite or inclined to Shiism, The second: He who denied his Shiism and went to prove his Sunniness and fanaticism towards the Umayyads. As for the third position, he tried to be objective and neutral, and did not make Ibn Abd Rabbuh a Shiite, but rather made him realistic in his view of history, and conveyed the events

as they were, and went to say that his inclination towards the Ali family was not rooted in It is not Shiism in it, but rather it is a love for the family of the Prophet that many Sunnis have. This position may be in common with the second position, but to a lesser extent.

In this research, we will review these opinions and positions, present the arguments of the parties, and respond to them with the opinion, evidence, and interpretation we possess that is contrary to what they believed. Perhaps we may reinforce some of these opinions and positions because of their rational and scientific acceptability.

Hence, the article was a reading of Ibn Abd Rabbo and his heritage from an angle commensurate with the extent of his culture and knowledge, and the circumstances that surrounded him.

alkalimat almiftahiatu: abn eabd rabih aleaqd alfaridi, aliantima,'

قبل البدء بعرض موضوعنا كان لابد من وقفة تعريف بابن عبدربه وشيئ مما قاله في القدماء والمحدثين .

التعريف بابن عبد ربه:

ارتبط الرجل بكتابه العقد أشد الارتباط بحيث اذا ذُكر ذُكر كتابه قبله ومن ثم كان هذا الامر وراء عدم عناية كتب الادب والتراجم بحياته واهتمامهم بها، وعكوفهم على كتابه معجبين ومشيدين ،وكأنها اعتبرت حياته متجلية بصفحاته الادبية المشرقة ، وان مجده لم تحزه حياته بقدر ما حازه عقده.[1] ولعل هذا الامر مرده أيضا الى وصول الكتاب الى المشرق وتدواله هناك الامر الذي صدَّر ابن عبد ربه كاتبا وأديبا ممثلا عن الاندلس في المشرق ، ومن ثم اكتفوا بما عرفوا عنه من انه صاحب العقد. وعلى الرغم من هذا القول فاننا لا نعدم بعض الاشارات الى حياته ونشأته وبعض شيوخه الذين تتلمذ على أيديهم وبخاصة في المصادر الاندلسية .

[1] ينظر : ديوان ابن عبد ربه الاندلسي مع دراسة لحياته وشعره، تح: د.محمد التونجي: 11.

فجاء عنها ان ابن عبد ربه [2]هو أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حدير بن سالم(246هـ – 328هـ)، ولد بقرطبة منتميا الى أُسرة من موالي البيت الاموي الذين اتخذوا من قرطبة حاضرة لهم، فنشأ فيها ، وتتلمذ على عدد من علمائها الذين أصبحوا فيما بعد من مصادر ثقافته المهمة ،ومنهم بقي بن مخلد الذي أدخل كثيرا من كتب المشارقة الى الاندلس، والخشني الذي جاء من رحلته الى المشرق بزاد لغوي كبير، وبعض من الدواوين الشعرية، وابن وضاح المعدود من علماء الحديث المشهورين؛ فحصل من هؤلاء وغيرهم على ثقافة اسلامية ، وعلوم عربية واسعة، ونمى ذلك كله وصقل موهبتيه الشعرية والنثرية ، وجعلته واحدا من المقربين الى البلاط الاموي ،الذي أنشأ مدائحه فيهم، وكان محلَّ ثقتهم ،والمقدم لديهم على بقية الشعراء.

ان ما وصل إليه ابن عبد ربه من شهرة وصيت جعلت المتأخرين من العلماء والمؤرخين مشارقة وأندلسيين يصفونه بأوصاف تثبت علمه وثقافته وموسوعيته التي دلَّ عليها كتابه العقد الفريد ،وما وصل الينا من اشعاره؛ اذ تحدثوا عن جلالته ومقامه العلمي ووصفه بعضهم بالعالم والفقيه ، إذ نجد ابن الفرضي(ت403هـ) يصفه بالفقيه وانه تعاطاه منذ شبابه ودرسه على ايدي بعض الفقهاء[3]، أما الحميدي(ت488هـ) فقال عنه: ((خطُّه حجة عند أهل العلم ،لأنه كان عالما ثبتا. وكان لأبي عمر بالعلم جلالة، وبالأدب رياسة وشهرة مع ديانة وصيانة))[4]، ، وقال عنه ابن خلكان(ت681هـ):((كان من العلماء المكثرين من المحفوظات، والاطلاع على أَخبار الناس))[5]،ووصفه الذهبي (ت 748هـ) ((بالعلامة))[6] .

ولعل هذه الاقوال تأكد على صفة العلم والتدين والاحاطة المعرفية والموسوعية التي تمثلت بابن عبد ربه عبر كتابه العقد الفريد ، ولا ريب في ان هذه الصفات تبئ عن عقل كبير ومعرفة عميقة وذكاء حاد؛ والى جانب هذه الاوصاف نجد من وصفه بالأدب والشعر فضلا عما تقدم ومنهم الفتح

---

[2] تنظر ترجمته في: جذوة المقتبس :173،مطمح الانفس :270، وفيات الاعيان ترجمة رقم 46 ،رايات المبرزين:64، ديوان ابن عبد ربه الاندلسي مع دراسة لحياته وشعره،:11–20 ،ديوان ابن عبد ربه، تح: د.محمد رضوان الداية :5–8.

[3] تاريخ علماء الاندلس : 38.

[4] جذوة المقتبس : 101.

[5] وفيات الاعيان:45/1.

[6] العبر في أخبار من غبر :29/4.

بن خاقان(ت528هـ)الذي عنون ترجمته له بالفقيه العالم ووصفه بأسلوب أدبي رفيع بقوله:((عالم ساد بالعلم ورأس، واقتبس به من الحظوة ما اقتبس، وشهر بالأندلس حتى سار إلى المشرق ذكره، واستطار شرر الذكاء فكره، وكانت له عناية بالعلم وثقة، ورواية له متّسقة، وأمّا الأدب فهو – كان – حجّته، وبه غمرت الأفهام لجته، مع صيانة وورع، وديانة ورد ماءها فكرع، وله التأليف المشهور الذي سمّاه بـ" العقد "، وحماه عن عثرات النقد، لأنّه أبرزه مثقّف القناة، مرهف الشّباة، تقصر عنه ثواقب الألباب، وتبصر السحر منه في كل باب، وله شعر انتهى منتهاه، وتجاوز سماك الإحسان وسماه))[7]، أما ابن سعيد المغربي(ت685هـ) فقد وصفه بالجانب الادبي وحده إذ قال:((إمام أهل أدب المائة الرابعة))[8]،وافتخر الشقندي(ت629هـ) وباهى به أهل المشرق[9]، وأيضا وصفه السيوطي(ت911هـ) حين ترجم له:((عالم الاندلس بالأَخبار والأَشعار وأَديبها وشاعرها))[10].

ويمكن القول عبر هذه الأَقوال ان ثقافة ابن عبد ربه التي تلوح عبر كتابه العقد الفريد تتجه باتجاهات عدة : منها في علوم التاريخ والاخبار والرواية فالقارئ يجد معرفته العميقة في السيرة النبوية المباركة، وأخبار الصحابة والتابعين ،وحياة الخلفاء الامويين والعباسيين، والى جانب ذلك يجد اضطلاعه في الفقه وعلوم القران والحديث النبوي الشريف ،واحاطته بعلوم العربية كعلم العروض والقافية ،وكتب النحو والصرف ،ونجده ذا معرفة بالمغنين والجواري ،كل هذه العلوم والمعارف قدمها وصاغها ابن عبد ربه باسلوب جليّ متين يقف معه القارئ معجبا به ايما اعجاب[11]، ويتصوره في ذهنه انسانا معتدلا ،أقرب الى الهدوء والاتزان، ويتلمس ايضا منزلته الكبيرة المؤثرة فيمن حوله من الحكام والناس على حد سواء.[12]

ولاريب في ان هذه المقولات لم تأت من فراغ بل من ثراء كبير امتلك زمامه، وصرَّح به ،وبطرق امتلاكه ،وهو القائل: ((فانْ كان لابدَّ لك من طلب ادوات الكتابة فتصفح من رسائل المتقدمين ما

---

[7] مطمح الانفس : 270.ونفح الطيب : 50/7.

[8] نفح الطيب :193/3.

[9] م.ن : 193/3.

[10] بغية الوعاة : 371/1.

[11] ينظر : ديوان ابن عبد ربه الاندلسي مع دراسة لحياته وشعره : 14.

[12] ينظر : ديوان ابن عبد ربه : 6.

يعتمد عليه ومن رسائل المتأخرين ما يرجع اليه، ومن نوادر الكلام ما تستعين به، ومن الاشعار والاخبار والسير والاسمار ما يتسع به منطقك ويطول به قلمك، وانظر في كتب المقامات والخطب ومجاولة العرب في حروبهم ومغاني العجم، وحدود المنطق، وأمثال الفرس ورسائلهم، وعهودهم ،وسيرهم ،ووقائعهم، ومكايدهم في حروبهم. بعد ان تكون متوسطا علم النحو والغريب والوثائق والسير وكتب السجلات والامانات))[13].

إنَّ الاحتفاء بهذا الكم الهائل من الثقافة والاطلاع الواسع عليها مكَّنت ابن عبد ربه من مسك أدواته المعرفية والكتابية والبراعة فيها، وجعلتنا نضع أيدينا على أُصول ثقافته التي هضمها وصدر عنها سواء أكان هذا من علماء عصره الذين اخذ عنهم العلم، أم من خلال قراءاته التي استوعبها.

ومن القضايا التي أَثارها العقد نفسه قضية مذهبه او انتمائه المذهبية بسبب من مادته وطريقة ترتيبها وبعض تعليقات ابن عبد ربه عليها ،الامر الذي جعل بعض المؤرخين يثيرونها قديما ، ويأخذها المحدثون ويثيرونها على طريقتهم ملقين الحجج على ما ذهبوا إليه ، فاتضحت لنا ثلاثة مواقف، الاول : من قال بتشيّعه او ميله الى التشيع[14]، والثاني : من أنكر تشيّعه وذهب الى إثبات سنِّيَّته وتعصبه للأمويين[15]، اما الموقف الثالث فحاول ان يكون موضوعيا محايدا فلم يجعل ابن عبد ربه شيعيا، وانما كان واقعيا في نظرته الى التاريخ ،ونقل الاحداث على حقيقتها، وذهب الى القول بان ميله الى آل علي ليس نابعا عن تشيع فيه، وانَّما هو محبة لآل البيت التي يتحلى بها كثير من أهل السنة[16].

---

[13] العقد الفريد:160/1.

[14] ينظر: أحمد امين في مقدمة تحقيقه العقد الفريد صفحة :ط ؛ و د. جبرائيل جبور في كتابه :ابن عبد ربه وعقده:61-70 اذ وصف تشيعه بالتشيع الحسن. و د. محمد التونجي في مقدمة تحقيقه ديوان ابن عبد ربه الاندلسي مع دراسة لحياته وشعره : 15-16.

[15] ينظر :محمود علي مكي في بحثه: التشيع في الاندلس الى نهاية ملوك الطوائف، صحيفة المعهد المصري للدراسات الاسلامية في مدريد، المجلد الثاني،1373هـ -1954م،العدد 1-2 :108.

[16] عمر السيد الطيب العباس في اطروحته للدكتوراه: شعر احمد بن عبد ربه الاندلسي دراسة تحليلية نقدية ،جامعة ام القرى، السعودية/ كلية اللغة العربية الدراسات العليا/الادب،1988م : 91.

ولعل اثارة هذا الموضوع من لدن الباحث كان وراءه استغراب منشؤه انه وجد من أعلام المذهب الشيعي وهو العلامة الشيخ عبد الحسين الاميني(1902–1971م) في كُتيب له وسمه بـ(نظرة في كتاب العقد الفريد) يتهجم على الكتاب وصاحبه ويبدأه بقوله:((قد يحسب القارئ لأول وهلة انه كتاب أدب لا كتاب مذهب ،فيرى فيه نوعا من النزاهة ،غير أنه متى أنهى سيره الى مناسبات المذهب تجد مؤلفه ذلك المهوس المهملج ،ذلك الافاك الأثيم...)). ثم يبدأ بعرض ما جاء به ابن عبد ربه من مقارنات بين الرافضة واليهود ، وما وسم الشيعة به من صفات يحاول تكذيبها وتفنيدها بحجج من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ،واستعمال الحجاج والمنطق والمأثور والمتعارف الشائع ؛ لينهي كلامه بقوله: ((هذه نبذة من مخاريق ابن عبد ربه ،وكم لها نظير ،ولو ذهبنا الى استيعاب ما هنالك لجاء كتابا حافلا ،...))، ويأتي على ذكر ابن تيمية الذي أعجبه ما جاء به ابن عبد ربه فزاد عليه من اتهامات للشيعة باليهود وتشبههم بهم. وكأن الشيخ الاميني يشبه فعل ابن عبد ربه بأفعال ابن تيمية تجاه الشيعة.[17]

ولعل ما جاء به الشيخ الاميني فيه تحامل كبير على ابن عبد ربه ، وعذره انه انطلق من ان ابن عبد ربه هو ربيب الامويين ولسانهم الناطق ومن ثم فهو ناصبي للشيعة ودس في كتابه ما دسَّه من ترهات واتهامات ألصقها في الشيعة ومرَّرها عبر كتابه المموه للحقائق بحجة أدبيته ونقله الأَخبار والمرويات من دون اسناد .

أما البحث الثاني الموسوم بـ(كتاب العقد في الميزان) لحسين بن رشود العفنان،[18] وفي هذا البحث ينقل صاحبه عن مجموعة من الكتب والدراسات التي نقدت ابن عبد ربه وعقده وكلها تنطلق من كونه شيعي ، وان خطورة ما جاء في كتابه من أفكار وأخبار ومرويات جعلت بعضهم يعده ضمن: (كتبٌ حذَّر منها العلماء)،ومن التهم التي اتهموه بها : (كذبه على أصحاب محمد (صلى الله عليه وسلم) ومن الخليفة الثالث ، وحسان بن ثابت ، وعبد الله بن عمر، ومعاوية بن أبي سفيان ،...))

وينقل عن الكتاب المتقدم الذكر قوله: ((وكتاب العقد مخلوط صحيحه بواهيه محذوف الأسانيد والرواة واعتمدَ على مصادر لا يجوز النقل منها إلا بعد تثبت ولم يعتمد مؤلفه في النقل منها إلا

---

[17] نظرة في كتاب العقد الفريد ،تم تصدير هذا الكتاب آليا بواسطة المكتبة الشاملة.

[18] كتاب العقد في الميزان (بحث) ، حسين بن رشود العفنان ، منشور على موقع صيد الفوائد ، رابطه : http://saaid.org/bahoth/28.htm .

الطرفة والملحة إذ في كتابه ميل إلى الفكاهة والدعابة ونزوع إلى القصص والنوادر والنكات فتراه في كتابه يذكر الكثير من ذلك أو لا يستنكف عن ذكر بذيء اللفظ وسافل المعنى ورغم ذلك فإن المسحة الأدبية تبدو قوية في كتابه بحيث يشعر بها كل من يقرأ(العقد) أو يتصفحه).)) ((كتب حذر منها العلماء (2 /44)))

ثم ينقل قول الشيخ عائض القرني في كتاب العقد وملاحظاته عليه :((وقال الشيخ عائض القرني عن الكتاب: (وهو من أحسن الكتب فوائد) وذكر ثلاث ملاحظات عليه فقال:

1/أنه يورد كثيرا من الأحاديث الموضوعة والباطلة ثم لا يعلق عليها.

2/الرجل شيعي يتكلم في بني أمية ويزري عليهم خاصة الصدر الأول كمعاوية وابنه.

3/أنه يفحش في باب النساء وفي بعض الأبواب كأبواب الحمقى والمتماجنين . وهذا لا يليق بالمسلم الأديب الذي يريد الله والدار الآخرة.(من كتاب: اقرأ باسم ربك ص:222).

فالملاحظ على هذا البحث ان صاحبه ومن نقل عنهم قد انطلقوا من حكم ابن كثير على العقد وصاحبه ، وانه صاحب أَدب وأَخبار وهؤلاء لا يفقهون التحقيق والسند بل ان ((أكبر همهم أن يصغي أكبر عدد من الناس لأحاديثهم...))، وهذا الكلام هو صدى لما قاله من قبلُ محمود علي مكي في ابن عبد ربه :((وهو لا يمحِّص الأخبار ولا يقف منها موقف الفاحص المدقق وإنما يعرضها كيفما تأتت له ويقول أيضا: ثم يعرض لأشياء هي إلى الخرافات والأساطير أقرب))[19]

والظاهر ان هناك حملة كبيرة من لدن هؤلاء على الكتاب وصاحبه لمجرد انه شُمَّ منه رائح تشيع ، وقد أثارها قديما المؤرخ ابن كثير(ت774هـ) اذ قال في سياق تعريفه بالعقد وصاحبه :((...كَانَ مِنَ الْفُضَلَاءِ الْمُكْثِرِينَ، وَالْعُلَمَاءِ بِأَخْبَارِ الْأَوَّلِينَ وَالْمُتَأَخِّرِينَ، وَكِتَابُهُ " الْعِقْدُ " يَدُلُّ عَلَى فَضَائِلَ جَمَّةٍ، وَعُلُومٍ كَثِيرَةٍ مُهِمَّةٍ، وَلَكِنَّهُ يَدُلُّ كَثِيرٌ مِنْ كَلَامِهِ عَلَى تَشَيُّعٍ فِيهِ، وَمَيْلٍ إِلَى الْحَطِّ عَلَى بَنِي أُمَيَّةَ، وَهَذَا عَجِيبٌ مِنْهُ ; لِأَنَّهُ أَحَدُ مَوَالِيهِمْ، وَكَانَ الْأَوْلَى بِهِ أَنْ يَكُونَ مِمَّنْ يُوَالِيهِمْ لَا مِمَّنْ يُعَادِيهِمْ .))[20]

[19] التشيع في الاندلس :

[20] البداية والنهاية:217/11.

فابن كثير ينكر على ابن عبد ربه هذا التصرف منه فكيف شاعر البلاط الاموي الاول، والمقدم لديهم وفي الوقت نفسه يحط من شأنهم وشأن أجدادهم وينال منهم ، ويعلو من شأن أعدائهم من الشيعة وقادتها ،وقد رأى ابن كثير ذلك واضحا في كثير من مواضع كتابه العقد.

وفي موضع آخر من كتابه نفسه ، وفي خبر نقل من العقد يتعلق بتفضيل الخليفة على الرسول فقال ابن كثير:((لِأَنَّ صَاحِبَ الْعِقْدِ كَانَ فِيهِ تَشَيُّعٌ شَنِيعٌ، وَرُبَّمَا لَا يَفْهَمُهُ كُلُّ أَحَدٍ، وَقَدِ اغْتَرَّ بِهِ شَيْخُنَا الذَّهَبِيُّ فَمَدَحَهُ بِالْحِفْظِ وَغَيْرِهِ، وَلَمْ يَفْهَمْ تَشَيُّعَهُ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وهذا الكلام فيه من التحريض الشيء الكثير ،فتشيع الرجل في رأي ابن كثير لم يكن اعتياديا فهو من النوع الشنيع ، وهو الذي وصل الى حد القبح ،فاذا كان بعض التشيع مقبولا فهذا غير مقبول لقبحه وشناعته المتأتية من حطِّه للصحابة ونقل أَخبار لا تليق بمقامهم وغيرها مما أُحصي عليه .

ويزيد ابن كثير في الطعن بالرجل وكأنه اكتشف أمرا عظيما يقول :ان هذا التشيع الشنيع لا يفهمه كل أحد بمعنى ان ابن عبد ربه قد موه في كتابه هذا على القارئ العادي ولم يستطع ان يستبينه بل وحتى أعمى ذلك على مؤرخ كبير كالذهبي ، ولكن ابن كثير استطاع ان يكشفه ويفضح أمر تشيعه الشنيع .

وهنا يبرز سؤال مهم هل صحيح ان صاحب العقد قد موَّه في كتابه على القارئ ومرَّر ما يريد من دون ان تثور عليه الثوائر كل هذه الحقب ،او ان ما قام به ابن عبد ربه أمرا مشروعا وعاديا تناسب مع عصره وظروفه ؟

ان هذا الاختلاف الحاد في توجهه المذهبي من طرف اليمين الى اليسار يجعلنا بحاجة الى اعادة النظر في هذه المدونة ، والتحقق مما أُخذ على الرجل ، ومحاولة اعادة قراءة ما كتبه وجمعه والتماس تأويلات لها بصورة مقبولة للقارئ.

ونحن هنا لا نريد الخوض كثيرا في تفاصيل هذه القضية وعرضها والرد على كل نقطة جاؤوا بها قدر تعلقها بما نذهب اليه في تعزيز بعض الأُمور التي وقف عليها الباحثون السابقون ،ولم ينوِّهوا بها او وجَّهوها الوجهة التي يريدون تاركين نوافذ عدة مفتوحة على ما جاؤوا به .

فلو رجعنا الى زمن تأليف كتاب العقد الفريد لوجدنا انه انتهى من تأليفه سنة 322هـ أي قبل وفاته بستة أعوام مما يعني انه مثل ((الكاتب في نضجه الثقافي))[21]،اذ تجاوز عمره الثمانين عاما؛ وهذا النضج يعني التكامل المعرفي والكتابي، ومعه لا يضع رواية ولا حديثا، ولا يقدم ولا يأخِّر ،ولا يأتي برأي ولا يعارض آخر الا بمقصدية ودراسة واستراتيجية معينة لا يفهمها الا من قرأه قراءة متمعنة متفحصة له ولعصره، وهذا الامر لا يبعدنا –بطبيعة الحال– عن إلقاء الامور على عواهنها لمجرد الجمع والتبويب من لدن المؤلف، فالغالب على الكُتَّاب الكبار أنَّ لهم غايات واضحة قريبة يفهمها من امتلك بعض الثقافة ،وغايات أبعد يستهدف بها المثقف الاقدر على قراءة العبارة وظروفها وسياقاتها المتعددة، وما هذه الغايات الا دلالات يحاول تمريرها بهذا الاسلوب او ذاك بسبب مانع يمنعه من الاتيان بها بشكل اعتيادي ومفهوم لكل طبقات القراء او المتلقين.

ومن هذا المنطلق يمكن قراءة الفصل الذي عقده ابن عبد ربه لأصحاب الاهواء، وتكلم فيه ببعض التفصيل عن الشيعة وفرقهم ،اذ تناول بعض العقائد الغريبة التي دانت بها بعض تلك الفرق المتطرفة كالسبئية والمغيرية والمنصورية، ويأتي ببعض النصوص الشعرية لشعراء شيعة ككثير عزَّة والسيد الحميري ليفنِّد ما دانت به تلك الفرق، ثم يأتي بكثيرٍ من أقوال العلماء في ذم الشيعة والتبرؤ من عقائدهم والمقارنة بينها وبين عقائد اليهود.[22]اذ يمكن قراءة هذا الفصل بقراءة جديدة مخالفة للقراءة التي قدَّمها أحد الباحثين اذ ذهب الى ان ابن عبد ربه كان((أموياً سنياً متعصباً يكره الخروج على الجماعة، وتناوله لفرق الشيعة نفسه وعرضه لبعض أقوالهم انما يدلُّ على كراهيته لها وعدم اقتناعه بها وسخريته منها، وليس ما فيها يدلُّ على أيِّ تشيع...))[23].

امَّا قراءتنا له فهي على النحو الاتي:

- إنَّ عرض ابن عبد ربه للفرق الشيعية دليل على اهتمامه الخاص بهذه الفرق، وبيان آرائها وسوء معتقدها ،الامر الذي يفضي الى معرفة أيِّها على صواب وتمسُّك بتعاليم الدين وعدم الخروج عليه، وهذا واضح من تشخيصه وتسميته لتلك الفرق دون غيرها من فرق الشيعة الأُخرى.

---

[21] الادب الاندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة : 111.

[22] ينظر العقد الفريد:2/249،245–250.

[23] محمد علي مكي في بحثه: التشيع في الاندلس الى نهاية ملوك الطوائف:108.

- إنَّ استشهاد ابن عبد ربه بأقوالٍ من فرقٍ شيعيَّة تنقدُ وتسفِّه فرقا شيعيَّة أُخرى لدليل على معرفته بأيِّ هذه الفرق أكثر التزاما وتمسكا بتعاليم الدين الحنيف وإنْ لم يصرح بها.
- أراد ابن عبد ربه بهذا الاسلوب وبهذه الطريقة القول :ان ليس كلّ الفرق الشيعية هي فرق ضلال وغلو ومبالغة، وانما هناك فرق شيعيَّة معتدلة ،فهمت الدين الحق ،ولم يرضها ما دانت به بعض الفرق المحسوبة عليها، والمتسمِّية باسمها ايضا.
- بطبيعة الحال مثلما كانت هناك فرق شيعية متعصبة ومغالية ومنحرفة عن جادة الاسلام الصحيح ،كانت هناك فرق سنية متعصبة ومغالية ومنحرفة ايضا[24]، ومن ثمَّ فانَّ هذه الفرق سنية كانت او شيعية لا تمتُّ الى الاسلام بصلة بل هي دخيلة ومدسوسة عليه ،ومن صنع أعداء الاسلام كاليهود وبعض النصارى ، ينبغي محاربتها بمختلف الطرق والوسائل.
- الذي يستطيع ان يفهم هذا الفهم المتعمق، يستطيع بطبيعة الحال أنْ يعرف أي هذه الفرق أحق بالاتباع وأولى باللحاق، ومن ثم نستطيع القول: إنَّ ما قام به ابن عبد ربه يعدُّ دفاعا غير مباشر او صريح عن تشيع عرفه وفهمه، ولم يرد أن يصرِّح بدفاعه هذا وانما جعل ألسنة الشيعة تدافع عنه، ليكون في مأمن من المحاسبة والمطاردة والعقاب.[25]

وعن طريق هذه النظرة ايضا نفهم ما ذكرة ابن عبد ربه في حديثه عن النزاع بين الامام علي عليه السلام ومعاوية، فهو لا يذكر وجهة نظر معاوية وأصحابه في ذلك ،وانما يذكر الحجج التي أوردها الامام وأصحابه على انَّهم أصحاب حق فيما هم فيه.[26]

ويورد حديثا نبويا صريحا عند ذكر مقتل الإمام علي عليه السلام، قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: ((إنَّ قاتل عليٍّ من أشدِّ الناس عذابا يوم القيامة))[27]، ويفرد ابن عبد ربه بابا كاملا في ذكر أفضال علي عليه السلام ويذكر تلك الاحاديث النبوية التي يستند اليها الشيعة في معتقدهم بولايته عليه السلام، منها قوله صلى الله عليه واله يوم غدير خم: ((من كنت مولاه فعلي مولاه،

---

[24] ذكر ذلك محمود علي مكي في :التشيع في الاندلس الى نهاية ملوك الطوائف :116، 118.

[25] قال محمود علي مكي في بحثه: التشيع في الاندلس الى نهاية ملوك الطوائف:107 ما نصه: ((...ونظرة الى الحالة السياسية في هذا الوقت(322–300هـ) تجعلنا نؤكد ان الدولة لم تكن لتتسامح مع مؤلف شيعي النزعة لا سيما ان كان كاتبا له شهرته ومكانته كابن عبد ربه...)).

[26] ينظر العقد الفريد :352/4.

[27] ينظر :م.ن : 360/4.

اللهم وال من والاه وعاد من عاداه))،وقوله صلى الله عليه واله:((اما ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى، غير انه لا نبي بعدي))[28].

فهذه الاحاديث النبوية الشريفة وغيرها التي ذكرها لا يمكن أنْ يقرأها ابن عبد ربه ويثبتها في كتابه من دون ان تكون له وجهة نظر وموقف منها، وليس أدلّ على مقبوليتها عنده اثباتها في كتابه ،ومحاولة تصديرها الى الآخر الذي يقف موقف الندِّ منها على انها أحاديث سمعت من الرسول صلى الله عليه واله وسلم وتداولها الشيعة في أدبياتها مما لا يثير ثائرة عليه ،وتفهم بشكل آخر.

وهناك رواية ذكرها ابن الابار[29] ،ونقلها عنه المقري[30]،تذهب الى ان هناك أرجوزة لابن عبد ربه يذكر فيها الخلفاء ويجعل معاوية رابعهم ،ولم يذكر عليا فيهم، فيثير حنق أحد الشعراء وهو منذر بن سعيد ويغضب ويسب ابن عبد ربه، وينظم بيتين في هجائه، واعلاء شأن الامام عليه السلام.

فيذهب جبرائيل جبور الى الشك بنسبة هذه الارجوزة لابن عبد ربه ،وانما يمكن ان تكون لأحد أولاده او أحفاده، تماشيا مع اثبات تشيعه له [31]؛اما محمود علي مكي فيذهب الى اثبات هذه الارجوزة له تماشيا مع اثبات تسننه وتعصبه للأمويين، وانَّه صنعها قاصدا كسب رضاء الامويين في وقت اشتدت عداوتهم فيه لخصومهم التقليديين ويقصد الفاطميين [32].

ويمكن القول ان الارجوزة لو صحَّت لأحيل اليها في كتاب العقد الفريد الذي ضمَّ أراجيزه الشهيرة في تاريخ الامويين، الا انها لم يوجد لها أثر الا عن طريق ابن الابار، هذا من جهة ومن جهة اخرى يمكن أن نقرأ هذه الرواية إنْ صحَّت من زاوية معرفة مفهوم الخلافة التي تعني التعيين الالهي الذي صرَّح به الرسول صلى الله عليه وآله في أكثر من حديث وموضع ،وقد أثبتها ابن عبد ربه في كتابه؛ فخلافة علي ليست دنيوية مادية كخلافة غيره وانما هي خلافة تشريعية إلهية ومن ثم لا يُقرن مع غيره ، وعبارته المرويَّة تعجب من يفهمها ظاهرا وكذلك باطنا، والذي لا يفهمه يسيء الظن به.

---

[28] ينظر :م.ن :311/4.

[29] التكملة:239/1-240.

[30] نفح الطيب :267/3.

[31] ابن عبد ربه وعقده:84.

[32] ينظر: التشيع في الاندلس الى نهاية ملوك الطوائف:117.

والجدير بالذكر انَّ ابن عبد ربه تحدَّث عن الامام علي عليه السلام أكثر من غيره ممن قاد الامة بعد الرسول صلى الله عليه واله ،هذا من جانب ومن جانب آخر أورد كثيرا من النصوص النثرية في كتابه العقد الفريد عن زعماء الدولة العباسية مثل الرشيد[33]،و المأمون[34]، والمعتصم[35]، تحدَّث عن لهوهم وشربهم الخمر ومجالس اللهو والمجون...

وهذه الروايات تنطبق تمام الانطباق على أمراء بني امية ولربما أشد من ذلك ولكنه بحكم ذكائه وفطنته لم يصرح بذلك من جهة ،ومن جهة اخرى ما رواه من نصوص عن أمراء العباسيين وأحوالهم هي نصوص متداولة في كثير من كتب التاريخ والأدب التي سبقته او التي عاصرته، ومن ثم سيكون الامر طبيعيا لا يثير حفيظة أحد من أمراء بني أمية ومقربيهم...على انَّ الكتب التي روت تاريخ بني العباس اللاهي روت في الوقت نفسه ومن دون خشية تاريخ الامويين الدامي مع أهل البيت واللاهي في الوقت نفسه، واللبيب يفهم، والحرُّ تكفيه الاشارة ،وقد صرَّح ابن عبد ربه ببعض غضبه على نماذج من بني أمية غير مقبولة الأفعال حتى من لدن بعض بني أمية ومنها يزيد بن معاوية الذي يذكره بقوله:((حتى مات يزيد لا رحمه الله))،وآخر منهم بالقول:((ومات مسلم بن عقبة لا رحمه الله))[36]؛وكان في الوقت نفسه يترضى ويترحم على الامام علي عليه السلام، وهذا الامر ايضا لم يرتضه محمود علي مكي فذهب الى انَّ ترحم ابن عبد ربه او ثنائه عليه، ولعنه ليزيد انما هو في ظنه من زيادات النساخ الذين كان يلذُّ لهم ان يقحموها تقربا الى الله، وان العقد قد زيد عليه الكثير بعد موت صاحبه.[37]على ان محمد علي مكي لم يفرق بين عبارة ابن عبد ربه (لا رحمه الله) وبين(لعنه الله) التي زادها وقوَّل بها ابن عبدربه، فالعبارة التي استعملها ابن عبد ربه(لا رحمه الله) هي أقل حدَّة بكثير من اللعن، فالذي لا يرحمه الله غير الذي يلعنه الله في الحكم، فضلا عما فيها من التورية والتمويه.

---

[33] ينظر العقد الفريد:120/5.

[34] م.ن :32/6، 60.

[35] م.ن :60/6.

[36] العقد الفريد:140/5.

[37] التشيع في الاندلس الى نهاية ملوك الطوائف:107- 108.

وبناء على ما تقدم لا يمكن التسليم بالقول المحايد، وانما نذهب الى قراءة ابن عبد ربه من زاوية تتناسب وحجم ثقافته واطلاعه ،والظروف التي أحاطت به؛ وهذا البحث هو قراءة تثبت ما ذهبنا اليه ، وامتداد لنظرتنا التي حاولنا اعطاءها بعدا جديدا مضافا لسجل المدونة الشيعية الاندلسية.

الخاتمة

ويمكن ان نسجل بعض الامور التي عنت لنا عبر هذا الطرح وهي :

أولا : الواقعية سمة امتاز بها ابن عبد ربه ،فهو لم ينزه أحدا سواء صحابة كانوا أم غير ذلك ،وتعامل معهم على انهم بشر يصيبون ويخطئون وهذا الامر ما لم يرتض منه.

ثانيا : كثير من الامور التي أُخذت عليه وهو لم يكن منها الا ناقلا لها ،ولكن جعلت له وثبتت عليه ولم تثبت على من رواها كالجاحظ وغيره.

ثالثا: الحرية التي كانت تعيشها الاندلس يوم ذلك ، والمنزلة التي تمتع بها ابن عبد ربه جعلته يروي ما يرويه من دون وجل أو خوف من المحاسبة أو المؤاخذة .

رابعا :تضارب الروايات وتناقضها جعلت القارئ في حيرة من أمر هذا الرجل ،فهل هو مع علي عليه السلام ومحبيه، او معاوية ومن خلفه من الامويين ،ولعل هذه الاستراتيجية عمل عليها ابن عبد ربه ونجح فيها ،ومرَّر ما أراده عبرها بشكل لم يثير حفيظة الاخرين ضده ،حتى جاء ابن كثير وراح يحرِّض عليه ،ويثير الشكوك من حوله، وصدَّقه الكثيرون من المحدثين ،و بدؤوا بشنِّ حملة عليه وعلى كتابه العقد.

خامسا : موقف المتبنين لسنيته من الدارسين الشيعة ، لم يختلفوا في طبيعة الاتيان بحججهم واتهاماتهم له عن الدارسين السنة ،فهم آخذوه واتهموه بأشياء نقلها عن غيره ، وأُخرى نقلها قاصدا فرقا معينة من الشيعة لا جميع فرقها ، ولو قرأ هؤلاء ما جاء به الاخرون لربما تغيرت وجهة نظرهم فيه ،وأعادوا قراءته بصورة أخرى.

سادسا: كان الامام علي عليه السلام المؤثر الكبير في عقلية هذا الرجل ونتلمس ذلك في روايته كثيرا من خطبه ورسائله وحكمه وأقواله ،وبها عدَّ العقد الفريد أحد المصادر التي يحاجج به الشيعة في اثبات ان ما ورد في نهج البلاغة هو للإمام علي عليه السلام وليس كما قاله الاخرون من انه من تأليف الشريف الرضي.

سابعا : هناك من اهتمَّ باستخراج ما ورد في سيرة وأخبار وأقوال وغيرها الخاصة بالإمام علي عليه السلام من العقد الفريد ووسمه بـ(الامام علي عليه السلام في كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه)[38] ، وهناك من درس (أثر نهج البلاغة في المؤلفات الاندلسية (العقد الفريد انموذجا))[39]،وهذه الدراسات تعضد ما ذهبنا اليه من ضرورة التعامل مع العقد الفريد بصورة موضوعية بعيدا عن المهاترات والاتهامات له ولانتمائه المذهبي.

---

[38] الامام علي عليه السلام في كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه، رسول كاظم عبد السادة ، ضمن سلسلة الامام عليه في التراث الاسلامي (1)، ط1 ، منشورات قصبة الياقوت للطباعة والنشر ، 2021م– 1441هـ . والكتاب يقع في 250 صفحة

[39] أثر نهج البلاغة في المؤلفات الاندلسية (العقد الفريد انموذجا) ،أ.م.د حسين لفته حافظ، وهو منشور في عدة مواقع شيعية منها: موقع نهج البلاغة ورابطه : https://arabic.balaghah.net/content/%D8%A3%D8%AB%D8%B1-%D9%86%D9%87%D8%AC-%D8%A7%D9%84%D8%A8%D9%84%D8%A7%D8%BA%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%A4%D9%84%D9%81%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%86%D8%AF%D9%84%D8%B3%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%82%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D9%81%D8%B1%D9%8A%D8%AF-%D8%A5%D9%86%D9%85%D9%88%D8%B0%D8%AC%D8%A7%D9%8B ، وموقع : مؤسسة الحكمة للدراسات الاسلامية وهو منشور في مجلة ينابيع تعنى بفكر أهل البيت عليهم السلام وقد نشر في أغسطس 2018/27م. ورابطه: https://alhikmeh.org/yanabeemag/?p=3288

ثبت المصادر والمراجع:

1. ابن عبد ربه وعقده ،جبرائيل سليمان جبور، نشرت تباعا في مجلة المشرق ،المطبعة الكاثولوكية ،بيروت ،1933م.
2. أثر نهج البلاغة في المؤلفات الاندلسية (العقد الفريد انموذجا)(بحث) ،أ.م.د حسين لفته حافظ، وهو منشور موقع نهج البلاغة ورابطه : https://arabic.balaghah.net/content/%D8%A3%D8%AB%D8%B1-%D9%86%D9%87%D8%AC-%D8%A7%D9%84%D8%A8%D9%84%D8%A7%D8%BA%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%A4%D9%84%D9%81%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%86%D8%AF%D9%84%D8%B3%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%82%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D9%81%D8%B1%D9%8A%D8%AF-%D8%A5%D9%86%D9%85%D9%88%D8%B0%D8%AC%D8%A7%D9%8B ،
3. الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، د. منجد مصطفى بهجت، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر – بغداد، 1988م. د.ط.
4. الامام علي عليه السلام في كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه، رسول كاظم عبد السادة ، ضمن سلسلة الامام عليه في التراث الاسلامي (1)، ط1 ، منشورات قصبة الياقوت للطباعة والنشر ، 2021م-1441هـ .
5. البداية والنهاية ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ) ، تح: علي شيري، ط1 ، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م.
6. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية – لبنان / صيدا.
7. تاريخ علماء الأندلس ، عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي، أبو الوليد، المعروف بابن الفرضي (ت ٤٠٣ هـ)، عنى بنشره؛ وصححه؛ ووقف على طبعه: السيد عزت العطار الحسيني [ت ١٣٧٦ هـ] ،ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.
8. التشيع في الاندلس الى نهاية ملوك الطوائف، محمود علي مكي ،صحيفة المعهد المصري للدراسات الاسلامية في مدريد، المجلد الثاني،1373هـ -1954م،العدد 1-2.

9. جذوة المقتبس في ذكر وُلاة الأندلس ، محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحَمِيدي أبو عبد الله بن أبي نصر (ت ٤٨٨ هـ) ،الدار المصرية للتأليف والنشر – القاهرة ، ١٩٦٦ م.
10. ديوان ابن عبد ربه الاندلسي مع دراسة لحياته وشعره،حققه وشرحه: د.محمد التونجي ،ط1، دار الكتاب العربي ، بيروت ،1414هـ-1993م.
11. ديوان ابن عبد ربه، جمعه وحققه وشرحه : د. محمد رضوان الداية ،ط1،مؤسسة الرسالة ،بيروت، 1399هـ-1979م.
12. رايات المبرزين وغايات المميزين ، علي بن موسى بن سعيد الأندلسي أبو الحسن · المحقق: محمد رضوان الداية · ط1، الناشر طلاس للدراسات والترجمة والنشر.د.ت.
13. شعر احمد بن عبد ربه الاندلسي دراسة تحليلية نقدية ، عمر السيد الطيب العباس في اطروحته للدكتوراه: جامعة ام القرى، السعودية/ كلية اللغة العربية الدراسات العليا/الادب،1988م .
14. العبر في أخبار من غبر، الذهبي)الحافظ أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت748 هـ-1349م، تحقيق: أبو هاجر حمد السعيد بن بسيوِني زغلول، ط1، دار الكتب العلمية، بيوت، 1405 هـ - 1985م
15. العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي (327هـ)، شرحه وطبعه: أحمد امين، وأحمد الزين، وإبراهيم الابياري، وعبد السلام محمد هارون، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1965م.
16. كتاب العقد في الميزان (بحث) ، حسين بن رشود العفنان ، منشور على موقع صيد الفوائد ، رابطه : http://saaid.org/bahoth/28.htm .
17. مطمح الانفس الانفس ومسرح التأنس في ملح أهل الاندلس ،الفتح بن خاقان (ت 529هـ) ،دراسة وتحقيق :محمد علي شوابكة ،ط1 ،مؤسسة الرسالة ودار عمار ،بيروت ،1403هـ-1983م.
18. نظرة في كتاب العقد الفريد ،العلامة الشيخ عبد الحسين الأميني ،سلسلة الكتب المؤلفة في رد الشبهات (66) ، اعداد : مركز الابحاث العقائدية ، تم تصدير هذا الكتاب آليا بواسطة المكتبة الشاملة.
19. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت ١٠٤١هـ) ، تح: إحسان عباس ،ط1 ، دار صادر- بيروت – لبنان ، ١٩٩٧م.
20. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت ٦٨١هـ) ، تح : إحسان عباس،ط1 دار صادر – بيروت،1994م.